مَا هِي الدِّينَامِيَة القَادِرَة على تقْوِيم وَتثْوِير قِوَى اليَسار؟

رحمان النوضة (الصيغة 7).

هذا النص هو تسجيل للاستجواب الذي أجراه موقع "حِوَار الرِّيفْ" مع رَحْمَان النُوضَة، حول مبادرة سياسية جديدة، سَمَّاهَا البعض بِـ «إِعَادَة تَأْسِيس اليَسَار بِشَكل مُتعَدِّد»، وَسَمَّاها النوضة بِـ «مُحاولة تقْوِيم وَتثْوِير قِوَى اليَسار بِالمغرب».

[وَرَغم أن هذه المُحاولة السياسية السّابقة فَشِلَت في أَوَانِهَا، فَإِنّ الأفكار الأساسية التي عَبَّر عنها رَحْمَان النوضة في هذا الاستجواب (في مَيْدَان مُعالجة أمزة قِوَى اليسار) تَبْقَى سَلِيمَة، ومُفِيدة، وثورية، وَمَا تَزَال مَطروحة لِلتنفِيذ. وَسَيَجِد القارئ في آخر هذا الاستجواب شَرحًا لِمَا جَرَى، بالإضافة إلى بعض النقد المُوَجَّه ضِدّ المَناهج الكَامِنَة وراء فشل هذه المُحاولة].

وفيما يَلِي تعريف لِلمُسْتَجْوَب (النُوضَة) كما نُشِرَ من طَرف مَوْقِع "حِوَار الرِّيفْ":

عبد الرحمان النوضة، مهندس، وكاتب، وقيادي سابق في منظمة "إلى الأمام"، أحد رفاق المناضل الراحل ابراهام

السرفاتي، معتقل سياسي سابق، اعتقل يوم 4 ماي 1974 في سياق موجة الاعتقالات التي شملت عددا كبيرا من مناضلي اليسار الجديد، واجتاز سنة ونصف في المعتقل السري المُسمّى «درب مولاي الشريف»، تعرّض داخل هذا القبو لتعذيب شديد خلال شُهور، وتَعَرَّضَ لِلتَّنْكِيل في هذا المُعتقل السِرِّي معتقلون سياسيون كثيرون. وفي فبراير 1977 حُوكم رحمان النوضة بالسّجن المؤبد، رفقة أربعة مناضلين آخرين، وهم : إبراهام السرفاتي، عبد الله زعزاع، المشتري بالعباس، وعبد الفتاح الفاكهاني. وقد اجتاز وراء القضبان قُرَابَة 18 سنة، تحت قبضة حكم الملك الحسن الثاني، ونشر النوضة عدّة كتب سياسية بالعربية وبالفرنسية، فضلا عن مقالات منشورة في مجموعة من الجرائد بالمغرب. وعلى إثر إعلانهم لمبادرة سياسية رفقة مجموعة من المناضلين اليساريين من تجارب مختلفة، اغتنمنا هذه الفرصة قصد استيضاحه حول حيثيات هذه المبادرة. فتجاوب عبد الرحمان النوضة مع "حوار الريف" بكل أريحية، ودون أدنى تردد ، وله منّا جزيل الشكر والامتنان.

°°°°°°°°°°°°++0++°°°°°°°°°°

حِوَار الرِّيفْ : كنتم من المساهمين في مبادرة التأم حولها ثلة من المناضلين المنحدرين من تجربة اليسار الراديكالي، على تنوعه، وعقدتم خلال يوم الأحد 6 فبراير 2016 الماضي اجتماعا، وتداولتم فيه حول ما أسميتموه بِـ «إعادة تأسيس اليسار بشكل متعدد» ؟ لو تتفضّلوا بإعطاء بعض الخطوط العريضة لهذه المبادرة السياسية ؟

رحمان النوضة : أولاً، أنا لستُ مسئولا، ولا ممثّلا، وإنما أتكلّم باسمي الشخصي فقط، وما أطرحه لا يلزم أحدا، ولا يعبّر بالضرورة عن آراء المناضلين الذي أعمل معهم. وأعتذر لهم مسبقًا إن تحدثتُ دون استشارتهم. وَلَوْ توفّر الوقت، لحاولتُ التشاور مع رفاقي في "الدّينامية"

للوصول إلى إجابة مشتركة. لكن جوابي السّريع هو ما يسمح به ضيق الوقت.

الحاضرون في اللقاء الأول لِ'سيرورة إعادة بناء يسار متعدّد'، في 6 فبراير 2016.

ثانيا، اِلْتقَى فعلاً خلال يوم السبت 6 فبراير 2016 بِمدينة الدار البيضاء، مناضلون سياسيون، محسوبون بشكل عامّ على اليسار. بعضهم مُتحزّب، وبعضهم غير متحزب. ودُعِي إلى اللقاء المناضلون الذين وقعوا على «بيان من أجل إعادة تأسيس اليسار المتعدد». ويمكن أن أبعث إليكم نصّ هذه الوثيقة لاحقًا، لكي يطّلع عليها قرّاء موقعكم الإلكتروني. ويمكن لمن يرغب في المشاركة في التوقيع على هذه الوثيقة أن يبعث اسمه إلى العنوان المشار إليه في نهاية هذه الوثيقة.

ثالثًا، نحن لا زلنا في بداية النقاش. ولم نقرّر بعدُ أي شيء. رفاقي يفضّلون تسمية مبادرتنا أو حركتنا بعبارة «سيرورة من أجل إعادة تأسيس يسار متعدد». والمقصود من عبارة «إعادة التأسيس»، حسب تصوّري، ليس هو حلّ أحزاب اليسار الحالية وتعويضها بأخرى،

وإنما المقصود هو خصوصا المراجعة النقدية للأسس التي بُنيّت عليها هذه الأحزاب، لفحصها، وتقويمها. بَيْنَمَا أنا شخصيا أُفَضِّلُ أَن نُسَمِّيَ هذه المُبادرة بِعِبَارة «الدِّينَامِيَة لِتقْوِيم وَتثْوِير قِوَى اليَسار». وأتمنّى أن يكون هدف هذه "الدِّينامية" هو نفسه لدى الجميع. أما إذا كان الهدف هو تقويّة حزب يساري على حساب الأطراف الأخرى، أو فرض حل بعض أحزاب اليسار، أو الضغط عليها لكي تتوحّد في حزب واحد، أو عزل أو إقصاء بعض الجماعات من المناضلين، أو تأسيس تِيَّار سياسي جديد، أو إنشاء حزب يساري جديد، فَإننا سنكون في هذه الحالة في حالة خلاف سياسي. أنا شخصيا ضدّ خلق حزب يساري جديد. كما أنني ضد إقصاء أي حزب يساري، أو أية مجموعة يسارية، من النضال الجماهيري المشترك. وهذه المبادرة السياسية الجديدة تجمع مناضلين متنوّعين، جاؤوا من تجارب نضالية أو حزبية مختلفة، ويحملون آراء متفاوتة، ومقاربات متباينة، ومتكاملة. وهذا التفاوت في الآراء طبيعي وإيجابي. ولا تشكّل هذه الخلافات عَائِقًا ضدّ النضال الجماهيري المشترك، خاصّة إذا كان المناضلون المعنيون يعرفون كيف يتعاملون معها، بمرونة، وجَدَلِيَّة. والميزة المشتركة فيما بين هؤلاء المناضلين هو أنهم لا يناهضون أية قوة من بين قوى اليسار، بل على العكس، يناصرون كلّ قوى اليسار، ويقدّرونها، ويغارون عليها، لكنهم غير راضين تمامًا عن كل ما يصيب حاليا قوى اليسار من ضعف، ونقصان، وارتباك، وتشتّت، وحلقية، وتنافر، وتفرقة، وتشرذم، وغياب المبادرات الناجعة، وغياب النضالات المشتركة فيما بين قوى اليسار.

رابعًا، يطمح هؤلاء المناضلون إلى خلق حركية، أو سيرورة، أو ديناميكية، من نوع جديد، على مستويات فكرية، وسياسية، ونضالية. وهؤلاء المناضلون يرفضون كل ما يهدف إلى إضعاف قوى اليسار، أو تشتيتها، أو تدميرها، أو مسخها، مَثَلًا عَبْرَ تحويلها إلى مجرد آلة انتخابية. بل يسعون إلى المساهمة المتواضعة في تقريب قوى اليسار فيما بينها، وتعزيز تشاورها، وتعاونها، وتكاملها، وتفاعلها البَيْنِي،

بروح نضالية ثورية واضحة، ومن أجل رفع مستوى فعاليتها السياسية، نحو أفق خدمة الأهداف الاستراتيجية للشعب. ويعتبرون أن المناهج القديمة المعتادة، التي تستعملها قوى اليسار، سواء في تفكيرها، أم في أساليب عملها، تحتاج إلى مراجعة نقدية، بغية تقويمها، وتحسينها، وتحديثها، وتثويرها.

حوار الرّيف: عرفنا في الماضي دعوات أخرى تدعو هي أيضا إلى النضال المشترك فيما بين قوى اليسار. لكن، رغم حسن النوايا المتوفّرة في المساهمين في هذه التجارب النضالية، رأينا كثيرا من محاولات النضال المشترك تتعثّر، أو تفشل، أو تتشتّت، بسبب الخلافات، أو الصراعات، أو المنافسات، أو المزايدات السياسية، التي تنشب فيما بين فرقاء هذا النضال المشترك. فلماذا ستنجحون أنتم فيما فشل فيه كثيرون قبلكم؟

رحمان النوضة: كلامك صحيح. كثير من محاولات تقريب قوى اليسار فشلت. ويمكن لمحاولتنا أن تفشل هي أيضًا. والمشكل الذي يتكرر إبّان خوض كلّ نضال جماعي مشترك، هو أننا نلاحظ أن بعض المناضلين، أو بعض المجموعات، الذين يشاركون في هذا النضال المشترك، لا يعملون لتحقيق الأهداف النضالية الثورية العامة المشتركة، المحدّدة بشكل مشترك، وإنما يعملون لخدمة أهادف أخرى خاصة بهم كأشخاص. وهذه الأهداف الخاصة قد تكون هي بناء زعامة شخصية، أو تقوية حزبهم الخاص بهم، على حساب قوى سياسية أخرى من اليسار. ويمكن أن يكون سبب الفشل هو العمل لبناء تنظيم خاص بهم، أو لاحتلال مواقع تنظيمية قوية في قيادة الحركة النضالية الجارية، أو لكي يستفيدوا هم وحدهم من نتائج النضال المشترك، أو لخدمة مسارهم الشخصي المهني، أو لتحسين حظوظ تسلّقهم الشخصي للمراتب الطبقية في الهيكلة المُجتمعية، إلى آخره. وفي مثل هذه المناسبات، يجب أن نتذكّر دائما، أنه في الوقت الذي ننظر فيه إلى بعض المناضلين، أو إلى بعض الجماعات، على أنهم انتهازيين (يعملون

لخدمة أغراض خاصة بهم)، قد ينظرون هم أيضا إلينا كانتهازيين. فلماذا لا نكون متواضعين؟ ولماذا نعتقد دائما أننا وحدنا على حقّ؟ ولماذا لا نفترض، ولو خلال وقت قصير، أنه من الممكن أن يكون خصومنا، أو منتقدونا، على حقّ أكثر منّا؟ ولماذا نمنح لأنفسنا حقّ احتكار الصواب، أو الحقيقة، أو الثورية؟ ولماذا لا نفترض أنه من الممكن أن يدافع خصومنا، أو منافسونا، على غايات مشروعة، وَبِنِيَّات حسنة؟ ولماذا لا نفترض مثلاً أننا كلنا على صواب، أو أننا كلنا على خطأ؟ وما العمل في حالة وجود مثل هذه الخلافات؟ هل نوقف النضال المشترك؟ هل ننسحب من النضال المشترك؟ هل ننسف هذا النضال المشترك؟ هل نشنّ صراعا سياسيا حادًّا ؟ هل نخوض حربا شعواء ضد كل من نظن أنهم انتهازيين؟ هل ندخل في تحالفات غير مبدئية لِقَطْع الطريق على كل من يظهر لنا كانتهازي، أو يحاول استغلال النضال المشترك لخدمة أغراض خصوصية؟ أظن أن الحل الأقل ضررًا هو سلوك التواضع، والعمل بِالجَدَلِيَّة. ويحتوي هذا النهج على عدّة جوانب. أوّلاً، يلزم أن نعتبر مثل هذه المشاكل نوعا من التناقضات الموضوعية الداخلية، التي تظهر حتمًا داخل صفوف الشعب، وتظهر في كل مجتمع، وفي كل عمل جماعي. وثانيًا، الأحسن هو أن نتعامل مع هذه التناقضات بمرونة، وبتأنّي، وليس بشكل سريع، أو سطحي، أو عنيف، أو عدائي، أو إقصائي. وثالثًا، يجب أن نحرص على مساعدة المخطئ لكي يُصْلِحَ خَطَئَهُ، وليس أن نعمل للقضاء على المخطئ بهدف التخلّص من الخطأ. [وقد سبق لي أن أوضحتُ ذلك في كُتُب سابقة]. ورابعًا، ينبغي أن نتذكّر أن هدفنا الأساسي كَثَوْرِيِّين، هو أن نعمل من أجل تثْوِير المُجتمع، وتثوير مُكوّناته، وتثوير أفراده، بما فيه تثوير هؤلاء الأشَخاص الذين يظهرون لنا كانتهازيين، أو كمنافسين، أو كخصوم. وليس هدفنا الأساسي هو القضاء على كلّ من يخالفنا في المعتقدات، أو في الأساليب، أو في السّلوكيات. وسلاحنا في مواجهة كل الانحرافات الممكنة هو الحوار الصريح، والنقد المباشر، ثمّ النقد

الجماهيري، ثم اقتراح بدائل فكرية وعملية قد تكون مُقْنعة بوضوحها، وسدادها، وتلائمها مع واقع الشعب واحتياجاته. وبعدما تقْتنعُ الجماهير بصحة نقدنا للسلوكيات المُنحرفة، وفي حالة إذا مَا تعَنَّتَ المخطئون في أخطائهم، آنذاك يُمكن اللجوء إلى إبعاد الانتهازيين المُتعَنِّتين.

حوار الريف : تتكلّمون عن نقد وتقويم وتثوير قوى اليسار، لكن بعض أحزاب اليسار لن تقبل منكم أن تنتقدوها.

رحمان النوضة : مُمكن. لكنني أرفض أن يعتبر أي حزب سياسي نفسه شأنًا داخليا خاصا. بل أعتبر كل حزب، وكل فاعل سياسي (سواءً كان يمينيا أم يساريا)، بأنه شأن عام، أو عُمُومِي. وعليه، فمن حقنا، بل من واجبنا، أن نشارك في محاورته، ومساءلته، ومحاسبته، ونقده، وتطويره.

حوار الريف : أعلنتم هذه المبادرة في ظرفية صعبة، تتسم بتراجع اليسار على المستوى الشعبي، والنخبوي، بعد تدجين جزء كبير منه، فيما تعيش التنظيمات اليسارية الأخرى، وخصوصا بعض الأطراف المنحدرة من تجربة اليسار الجديد، انشقاقات مستمرة، بسبب الإحباط المعنوي لعدد كبير من فئاتها. ولعلَّ صورة اليسار في المغرب قريبة مما يمكن تسميتها بأزمة وجود. في ظل هذه الأوضاع، أي معنى، أو إضافة، تحمله مبادرتكم، في مواجهة هذه التحديات التي يعيشها اليسار المغربي ؟

رحمان النوضة : أوّلاً، التشخيص المقلق الذي بدأتَ في طرحه، خلال سؤالك السابق، حول أوضاع اليسار بالمغرب، يعني أنك وضعتَ رجلك الأولى داخل حركتنا التصحيحية. وحينما ستبدأ في المساهمة العملية في نقد وتثوير قوى اليسار، فإنك ستكوون قد وضعتَ رجلك الثانية داخل حركتنا التقويمية. فأنت تلتقي فكريا معنا دون أن تكون قد اجتمعتَ معنا. وكل مناضل يشرع في تشخيص قَلِقٍ لأزمة قِوَى اليسار، يصبح كأنه مشارك، أو منخرط، في مبادرتنا التقويمية.

ثانيًا، نحن لم ننتج معجزة جديدة، لأن ما نحسّ به نحن، تحسّ به أنت أيضا، ويشعر به غالبية مناضلي قوى اليسار، وربّما منذ وقت قد يعدّ بالشهور، أو بالسنوات، أو بالعقود، حسب حالة كل مناضل. ونسبة هامة من أعضاء، أو مَسْؤُولِي، قوى اليسار، يعترفون صراحة، إمّا في العلن، وإما في السرّ، أن اليسار يوجد حقًّا في حالة ضعف، وأنه يُعاني من مشاكل كثيرة ومعقّدة. لكن الجديد الذي جاءت به حركتنا التصحيحية، هو أننا قرّرنا بجرأة، الانتقال من إحساس فردي شبه "لا واعي" بأزمة اليسار، إلى الطّرح الجماعي، والسياسي، والعلني، والواضح، والعقلاني. ولا يكفي اليوم أن نعترف نظريا بوجود مشاكل لدى قوى اليسار، بل المطلوب هو الشروع فورًا، وعمليّا، في نقد، وتصحيح، وتقويم، وتثوير قوى اليسار.

ثالثًا، مظاهر أزمة قوى اليسار التي بدأتَ سابقا في سؤالك في طرح بعض عناصرها، هي بالضبط التي حَثَّتنَا على إطلاق هذه المبادرة السياسية. لقد وصل تدهور أوضاع قوى اليسار إلى مستوى خطير يهدّد استمرارية وجود هذا اليسار، كما قلتَ أنتَ بنفسك. وفي مثل هذه الأوضاع المقلقة، يحسّ بعض المناضلين الثوريين في اليسار بضرورة الجُرأة على التفكير، والجُرأة على المُبادرة، والجرأة على النقْد، وعلى ممارسة التحذير، والتنبيه، والاقتراح، والتجميع، بهدف المشاركة المتواضعة في إخراج قوى اليسار من مسار الانحدار، وحملها إلى مسار التساؤل، والمراجعة النقْديَة، والإبداع، والتشاور، والتفاعل، والتعاون، والتكامل، والتَلاَقُح، والنُمُوّ، نحو أفق الفعالية، والسَّدَاد، والانتصار.

رابعًا، يجب ألّا نُغالط أنفسنا. فإقدامنا على محاولة تقويم قوى اليسار بالمغرب، لا يعني، ولا يضمن، أننا متفوِّقين على قوى اليسار، ولا يعني أننا سالمون من النقائص الموجودة في قوى اليسار. بل يمكن أن يكون بعضنا، أو كلّنا، يحمل نفس الأخطاء، أو نفس النقائص، الموجودة في قوى اليسار. ونحن نطمح إلى مساعدة قوى اليسار على التعَافِي من تلك الأمراض المذكورة سابقًا. والمستقبل هو الوحيد الذي

سَـيُبَيِّنُ إلى أيّ مـدى نحن سـالمون من عُيـوب قـوى اليسـار، أو إلى أي مدى نحن مصابون بنفس الأخطاء القائمة في قوى اليسار.

خامسًا، مُعظم مُناضـلي قِـوَى اليسـار، وبغض النظـر عن الإطـار الحزبي أو التـنظيمي الذي يعملون حاليا داخله، هم صـادقون، ونزيهـون، وطموحون. وإذا ما اقترحنا عليهم مراجعة نـقدية لمكوّنـات اليسـار، وإذا ما اقترحنا عليهم أساليب عمل جيّـدة، فمن الممكن أن يَـقْبَلُونَهَا، أو أن يستـفيدوا منها، أو أن يُطَوِّرُونَوهَا إلى أعمال نضالية من نوع جديد. كمـا أنـه من المُمكن أن يَرْفُضُـونَها لاعتبـارات مختلفـة. وقـد تُمكّنهم هـذه الاقتراحات من إنجاز مهام نضالية مشجّعة.

سادسًا، قوى اليسار هي اليوم في حاجة مُلِحَّة، وعاجلة، لإحـداث نـقْلَة نَوْعِيَـة في تصوّراتها، وفي أفكارهـا، وبرامجهـا، وأسـاليب نضـالها، وأشكال تـنظيمها، ومَنَاهِج عَملها.

سابعًا، نحن لا نـدّعي أننـا أتينـا بخـط سياسي جديـد وبـديل. ولا نزعم أننا نتوفر على تصوّرات جديـدة وَواضحة، ولا على حلـول سياسـية شاملة وكاملة، ولا على مشاريع بديلة جـاهزة. على عكس ذلـك، أعتـقد أن الأفكار الجديدة التي نحتاج إليها، لن يخلقها أي شخص كان، ولا أي حزب منـفرد، وإنمـا ***النضـال الجمـاهيري المُشـترك،*** الـذي يُسـاهم فيـه أكبر قَدر مُمكن من بين قِوى اليسار، ***هو وحـده المُؤَهَّل لِتَجديد أفكـار وأسـاليب وممارسـات قـوى اليسـار.*** والمُهم لَـدَيَّ هـو أن نَـدفع مُجمـل مناضـلي قـوى اليسـار إلى أن يُسـاهموا، سـواءً كمسـئولين، أم كأعضـاء قاعـــديين، في التشـــاور، والتـــفاعل، والتســـاؤل، والنـــقد، والبحث، والتـــعاون، والتكامـــل، والإبـــداع، بهـــدف ***إحـــداث النـــقَلَات النَوْعِيَـــة المَرْجُـــوَّة،*** على جميـع الأصـعدة، الفكريـة، والتـنظيمية، والعمليـة، والنضالية.

حـوار الريـف : ألا تخـافون من أن تسـاهم هـذه المبـادرة في تَشْتِيت المُشَتَّت، خصوصا أنها تتزامن مع مبادرات أخرى يـقف وراءهـا عدد من الأطراف، جَرفت معها حَمُولَـة سياسية لصـراعات شـاقّة داخـل

حزب سياسي يساري، وهو «الحزب الاشتراكي الموحد»، الذي يَشْكُو منذ مدة من اختراقات أطراف محسوبة على أحزاب التحكم، تسعى إلى تركيعه واحتواءه؟

رحمان النوضة: أوّلاً، كل أحزاب اليسار (في المغرب، وكذلك في كثير من بلدان العالم) تعيش حاليا مشاكل مُعيقة، ومُرْبِكَة، ومعقّدة. بما فيها أحزاب اليسار الأربعة بالمغرب، أي "حزب الاشتراكي الموحد"، و"حزب الطليعة"، و"حزب النهج"، و"حزب المؤتمر الاتحادي". وحتى حزبي "الاتحاد الاشتراكي"، و"حزب التقدم والاشتراكية"، ولو أنني لا أعتبر هذين الحزبين الأخيرين ضِمْنَ اليسار، يتخبّطان في مسار عسير، ويتطوّران من سيّء إلى أسوأ. وهذان الحزبان الأخيران لا يتجرّآن بعدُ حتّى على الاعتراف بالأزمة التي تهلكهما.

ثانيًا، على خلاف بعض التخوّفات المشروعة، أقول بوضوح، أن بعض مناضلي هذه المبادرة الجديدة، وأنا منهم، لَمَّحُوا خلال اجتماعهم الأول، إلى أنهم مقتنعون أن ***عملية، أو سيرورة، تقويم وتثوير قوى اليسار الحالي بالمغرب، لن تنجز عبر خلق حزب جديد.*** بل إن تقويم وتثوير قوى اليسار سَيَأْتَيَان من خلال المُساهمة الطَّوعية، والعملية، والجماعية، والمشتركة، لأكبر عدد ممكن من مناضلي قوى اليسار، في ***إحداث هذه النقْلَة النوعية، من داخل أحزابهم الخاصة القائمة حاليًّا.***

ثالثًا، هدف "الدّينامية" ليس هو خلق حزب جديد، وليس هو تعويض قوى اليسار الحالية بأخرى تزعم أنها هي الأحسن. وإنما الهدف هو الانطلاق من قوى اليسار الحالية كما هي، والانطلاق كذلك من المناضلين اليساريين غير المتحزّبين كما هم حاليا، ***والعمل بهدف تقويم هذه القوى، وتثويرها، عبر النضال الجماهيري المشترك،*** وعبر حوار جِدَالِيّ، والتفاعل الإيجابي، والبحوث الجماعية، والمراجعة النقدية، والنقد الذاتي، والإبداع على مستويات الفكر، والتنظيم، والنضال المشترك، إلى آخره. ***والغاية ليست هي خلق تنظيمات***

يسارية جديدة أو بديلة، وإنما الغاية هي تـقويم وتـثوير قـوى اليسـار الحالية، ليس فقط من خلال النقاشات أو المشاورات، وإنمـا ***من خلال خـوض النضـالات الجماهيريـة المشـتركة***. وهـذا النضـال الجمـاهيري المشترك، الطويل الأمد، هـو الـذي سـيوفِّر إمكانيـة تجميـع قـوى اليسـار في إطار تـنسيق، أو تحالف، أو جبهـة، أو فيدراليـة. لا يَهُمُّ الشَّكْل، هـل جبهـة؟ هـل فيديراليـة؟ هـل تحـالف؟ هـل تـنسيـق؟ ***المهم هـو سِعَة النضال المشترك***، وصلابته، واستمراريته. ومـا نريـده هـو تـقوية قـوى اليسـار، وليس تـدميرها. وكـل مناضـل يريـد الانخـراط في "الدّينامية" المذكورة، أو يريد فقط المساهمة من بعيد في مجهوداتها، لا نطلب منه التخلّي عن انتماءه الحزبي، ولا نطلب منه تغيير قناعاته السياسـية. لأن ***جـوهر "الدّينامية" ليس حزبـا جديـدا، وإنمـا هـو نضـال مشـترك، ومجهـود متواصـل، يهـدف إلى تـقويم وتـثوير مَنَـاهِج قِـوَى اليَسـار***. وعلى عكس بعض التخوّفات، ندعو مجمل المناضلين إلى ***البقـاء داخـل قِوَى اليسار*** التي يتواجدون فيهـا، وإلى ***الصُّـمُود في نـقْد ومُقاومـة كـلّ أشـكال التخلّـف***، أو الـرداءة، أو الانحـراف السياسـي. كمـا ***نـدعو المناضـلين إلى المُسـاهمة الجِرِّيَّة في تـقْويم وَتـثْوِير أحـزابهم، بأساليب بنّاءة، وشفّافة، ومَرِنَة، وَنَزِيهَة، وَمتأنِّيَة، وديمقراطيـة***. لأن الهـدف ليس هـو تخـريب قـوى اليسـار، ولا هـو السـيطرة عليهـا، وإنمـا الهـدف هـو ***المساهمة البَنَّاءَة، والمُتواضـعة في تطويرهـا، وتـقويتها، وتحسين أدائها***. مع العلم أن ***المناضل الثوري، هـو الـذي يبـدأ دائما بِتـثْوِير نفسه، قبل أن يحاول تـثْوِير غَيره***.

رابعًا، نحن (في المبادرة الجديدة) لا نـزعم أننـا أنـبياء جـدد، ولا ندّعي أننا نـفهم المشاكل السياسية أحسن من باقي مناضلي قوى اليسـار، ولا نـرغب في أن نكـون زُعمـاء سياسـيين جُـدد، ولا قـادة سياسيين جدد. ولا نريد استبدال القادة الحاليين في أحزاب اليسـار، ولا نريد مُنافستهم. هـذه شؤون تهم مناضـلي كـل قُـوة يسـارية على حِـدَة. ونحن (في المبـادرة) نـعارض بوضـوح خَلْـق حـزب يسـاري

جديد، أو جمعية جديدة، أو حتى خلق مجموعة سياسية جديدة، أو خلق تيّار سياسي جديد. لأن خلق حزب جديد يمكن أن ينتج مشاكل إضافية، دون أن يقْدرَ على فَهم ومُعالجة المشاكل القديمة.
كما أننا لا نهدف إلى تغليب أي حزب يساري على آخر. ولا نريد حتى الضغط على قوى اليسار لكي تتوحد رغمًا عنها. ولا نقبل مناهضة أي حزب يساري. ***وإنما نَطْمَحُ إلى تقوية مُجمل قِوى اليسار، عبر النضال المشترك، وتبادل النقد، والمساعدة، والتقْويم، والتثْوير.***

خامسًا، ما نرغب فيه (عبر مُبادرة "الدِّينَامِيَة") هو ***تقْرِيب المَسافات*** الفكرية والسياسية فيما بين مختلف قِوَى اليسار. ونبتغي تشجيع مجمل قوى اليسار على ***الالتزام بِمَنْهَج التَوَاضُع،*** وعلى ***تَحْبِيذ التشاور،*** وعلى ***تفضيل النضال المشترك.*** ونريد المساهمة المتواضعة في ***الرّفع من مستوى أداء مجمل قوى اليسار.*** ونطمح إلى تعميق ***التعاون، والتكامل،*** فيما بين مجمل قوى اليسار.

سادسًا، نحن (في المبادرة) نثق في كون ***الأفكار*** السياسية التي تكون ثورية، وسليمة، وملائمة للواقع الملموس، نثق بأنها ستتحول بسهولة إلى ***قوة*** بشرية، أو سياسية، أو نضالية، أو مجتمعية. وطموحنا هو المشاركة في ***خلق دِينَامِيكِيَّة*** فكرية، وسياسية، ونضالية، وأن تؤدّي هذه الديناميكية إلى تنمية حيوية لِقوى اليسار، وفعاليتها، وإبداعاتها، وإشعاعها، وتعاونها، وتكاملها، ونضالاتها المشتركة. ولا يمكن أن تنجح أية مبادرة سياسية طموحة مثل مبادرتنا، إلا إذا فَهَمَتْهَا غَالبية مناضلي اليسار، وقبلت طَوْعِيًّا المشاركة في تعميقها، ***وتحويلها إلى سلوكيات نضالية يومية ومتواصلة.*** زيادة على هذا، لا تنس أن ما قلتُه لك، هو رأيي الشخصي. وأنا على يقين أنك إذا استجوبتَ مناضلين آخرين من بين المشاركين في مبادرتنا الحالية، فإنهم سيقولون لك بالتأكيد، أفكارًا أخرى مهمة، واقتراحات إضافية غنية، ومُكمّلة. حيث أننا لا زلنا في بداية الطريق. ونحن مثل آلات موسيقية في أُورْكِسْتْرَا.

كلما تكلم أحد منا، إلاّ وسمعتَ صوتا أو نبرة مختلفة. لكننا نعزف سمفونية واحدة مركّبة. وذلك حَسب ما أتصوّر شخصيًّا.

حوار الريف: هذا كلام نظري عام، ومعقول، وجميل، ولن يعارضه أي مناضل عاقل، ولكنك لم توضح لي الإجراءات العملية التي ينوي مناضلو هذه المبادرة القيام بها لتحقيق طموحاتهم.

رحمان النوضة: حسب رأيي المتواضع، وإلى حدود هذه اللحظة، نحن بأنفسنا لا نعرف جيّدا ماذا ينبغي أن نفعل، وكيف نفعله، ومتى، ومع من ؟ لدينا طبعًا بعض ***التصوّرات الأولية،*** أو الجزئية. ونعترف بتواضع أن هذه التصوّرات الحالية لا زالت بِدَائِية، أو غير كافية. لأنها تستوجب بالضرورة مساهمة أكبر عدد ممكن من بين مناضلي قوى اليسار.

والمهم عند انطلاق ديناميّتنا، هو أننا واثقون من أن ***الشروع الجرّيء، والجماعي،*** وبدون تماطل، في تطبيق هذه الأفكار، هو الذي سَوف يُساعدنا أكثر فأكثر على توضيح ماذا نريد، وكيف ننجزه، ومع من، ومتى؟

ويحرص أعضاء 'الدّينامية' على ***التَفَاعُل بشكل إيجابي مع كل قوى اليسار، دون تَفْضِيل فَصِيل على آخر، ودون إقصاء أي طرف.*** فالنضال الجماهيري المشترك مفتوح لكل قوى اليسار، ولكل المناضلين. وكل قُوة من بين قِوَى اليسار تقبل ***بالانفتاح*** تجاهنا، سوف نُساعدها بكل طاقاتنا. وكلّما وُجدت قوة يسارية مُقَصِّرَة، أو مُخطئة في إحدى مواقفها، أو في إحدى سُلُوكِيَّاتِهَا، فإن ***الواجب سيجبرنا على نقدها*** بشكل صريح، بنّاء، علني، وباحترام. لكن ***الاحترام لا يعني المُجاملة،*** أو المُهادنة، أو المُحاباة، أو السُّكُوت عن النَوَاقِص. كما أن ***النقد*** لا يبرّر الاتهامات الذاتية، أو الإهانة، أو القساوة، أو الاحتقار، أو الإقصاء، أو بَثّ الكَراهية، أو العَداوة.

ودورنا هو ***المُساعدة،*** وليس التَّحْطِيم. وسلاحنا الأساسي هو ***النقد العلني،*** الواضح، والدّقيق، والمُعمّق، والجِدّي، والرَّزِين. لأن

الغاية هي تقْويم وتَثْوير قِوى اليسار، وليست هي ضربها، أو إضعافها، أو هَجْرُهَا، أو تجاهلها، أو المشاركة في تصفيتها. وانتصار "حركتنا" أو "ديناميتنا"، لا يتجلّى في احتلال مواقع تنظيمية قيادية، وإنما سيظهر في تطبيق قوى اليسار، في شموليتها، لمناهج ثورية، سليمة، وفعّالة.

ولكي لا يبقى كلامي نظريا أو عامّا، أودّ أن ألحّ على أن أسلوبنا في العمل سيكون هو ***مشاركة مُجمل مناضلي "الدّينامية" في أكثر ما يمكن من الأنشطة والنضالات التي تنظمها أية قُوة من بَين قِوى اليسار.*** ضدًّا على الحَلَقِيَة. وضدّ الحِسابات الضيقة. وبدون مُيُول نحو احتلال مواقع في "القيادة"، أو في "الزعامة"، أو "الطَلِيعِيَّة". ومن خلال هذه المشاركة، سيحرص أنصار "الدّينامية" على التذكير، وعلى الإلحاح، على دعوة كل مناضلي ومسئولي كل قوة من بين قوى اليسار إلى ما يلي:

1) ضرورة ***الالتزام بالتواضع، وبالتَشاور، وبالتنسيق، وبشكل متواصل،*** فيما بين أكثر ما يمكن من قوى اليسار، بما فيها تلك التي نختلف معها في كثير من القضايا.

2) تفضيل ***القيام بأنشطة ونضالات مشتركة،*** فيما بين أكثر ما يمكن من قوى اليسار، بدلاً من خوض أنشطة أو نضالات بشكل مُنفرد (من طرف كل قوة يسارية مَعنية على حِدَة). لأن ***انخراط أكثر ما يمكن من الأطراف في النضال المُشترك هو بالضبط الذي يوفّر إمكانات التقارب، والتفاعل، والتفاهم، والتطوّر، والتوحّد، فيما بين قوى اليسار.***

3) الحرص في النضالات المشتركة على ***إعطاء الأسبقية للمصالح الثورية للشعب،*** وليس لمصالح هذا الحزب المعني أو ذاك، أو لصاح هذا التنظيم المُحدّد أو غيره.

4) غايتنا المشتركة الأساسية هي ***إنجاح النضال المشترك،*** وليست هي استفادة حزبنا الخاص، أو مصلحة تنظيمنا، أو تقوية تيّارنا السياسي. بل نُفضّل إنجاح ***النضال المشترك،*** وَلَوْ كان الثمن اللّازم

لذلك هو تضحية حزبنا، أو خسارة تنظيمنا. لأن ***الشعوب لا تتقدم، ولا تتعلّم، ولا تتوى، ولا تتقوّى، إلاّ عبر النضال المشترك.***

5) نبْذ ***الحَلَقِيَة***، أو ***العَصَبِيَة الحزبية الضَيقَة***، أو الانغلاق على النفس.

6) ***نقد اَلْاِنْحِيَّاز الذّاتي، أو التَعصّب الحَلَقِي***، لصالح أية قوة من بين قوى اليسار، ومهما كانت. لأن ***الهدف الأساسي ليس هو حزبنا الخاص بنا، وإنما هو ثورتنا المُجتمعية المُشتركة.***

7) نقد المُيُول نحو ***"الزَعَامَة"***. لأن الزعامة تؤدي دائما إلى تقليص دور القواعد، أو إضعافها، أو خنقها، أو تهميشها. كما تؤدّي الزعامية إلى تبليد المناضلين القاعديّين. [أنظر في هذا المجال وثيقتي: "ضِدَّ الزَعِيم، وَضِدَّ الزَعَامِيَة"].

8) ***نقد الرغبة في الظفر بموقع "الطليعة"***. واستبدالها بتشجيع ***التواضع.*** لأن الرغبة في احتكار موقع "***الطليعة***" غالبا ما تخفي الرغبة في السيطرة، أو التّحكّم، أو الهيمنة، أو الاستبداد.

9) ***تشجيع الإبداع*** بهدف إغناء الأفكار، وتطوير الأساليب النضالية، والأساليب التنظيمية، والإعلامية. وليس الاقتصار على أساليب قديمة، مكرّرة، أو جامدة، أو غير متلائمة مع مستجدّات الواقع.

10) ***التعامل مع التناقضات*** التي تظهر داخل كل حزب أو فصيل من اليسار ***بروح ديمقراطية، ومرنة***، تحرص على معالجة التناقض، وليس على هزم العنصر المخالف، أو على إقصاء الطرف المناقض، أو محاولة فرض الرأي الواحد، أو تَرْسِيم الإِجْمَاع القَسْرِي.

11) التعامل مع ***التناقضات*** التي يمكن أن تظهر فيما بين مختلف قوى اليسار ***بِمَنْهَج مَرِن***، يَصُون الاستمرارية في الالتزام ***بالنضال المشترك***، وخوض هذا ***النضال المشترك*** بكل الأشكال المتنوعة والممكنة.

قد تظهر هذه الأفكار ساذجة. لكن ميزة عَمَل الخَيْر هي أنه يظهر في غالب الأحيان ساذجًا، بينما العمل الشِرِّير، أو الانتهازي، أو

المُخَادِع، يظهر أكثر واقعيةً. المُهم، لا زلنا في بداية الحوار. ونحن في "الدّينامية" في حاجة إلى مساهمات مُجمل مناضلي قوى اليسار.

حوار الريف: على مستوى شكل التنظيم الذي ستعمل به "الدّينامية"، يظهر لي طرحكم غير واضح، أو يبدو كأنه يوجد نوع من التناقض في أطروحتكم. حيث تقولون أنكم تطمحون إلى تقويم وتثوير قوى اليسار، وفي نفس الوقت تقولون أنكم ترفضون خلق حزب جديد. فَبِأيّ شكل من أشكال التنظيم ستعملون إذن ؟

رحمان النوضة: فعلاً، قضية ***التنظيم*** تطرح علينا، في بداية مشوارنا، تناقضا جميلا ومُحَفِّزًا. لأن أسلوب التنظيم الذي يمكن أن تعمل به 'الدّينامية' في المستقبل، قد يطرح عدة إشكالات أو تناقضات. منها مثلا ما يلي :

أ) إذا عَمِلَت "الدّينامية" مثلاً بأسلوب ***تنظيم كلاسيكي***، توجد فيه هياكل تنظيمية، ومركزية، وقيّادة، وَتَرَاتُبِيَة، أو بِتَنْظِيم يحتوي على هيئات محلية، وهيئة وطنية قيادية، ومؤتمر، وقرارات مُصوّت عليها، فمن المحتمل أن يُوقِع هذا الأسلوب التنظيمي 'الدّينامية' في مسار تأسيس حزب كلاسيكي، وفي مشاكل مشابهة للمشاكل التي تُعاني منها أحزاب اليسار. الشيء الذي يَتَنَافَى مع فلسفة "الدّينامية". حيث أننا نطمح إلى إشراك مجمل المناضلين الثوريين، بتعدد انتماءاتهم الحزبية، وبتفاوت آراءهم الفكرية أو السياسية. فَلَيْسَ بَديهيًّا أن تكون الأشكال ***التنظيمية الكلاسيكية*** ملائمة لطبيعة 'الدّينامية'. كما يُحتمل أن تستغل الأجهزة القمعية نقط ضعف هذا الصنف من التنظيم الكلاسيكي (وهي كثيرة ومعروفة) لكي تعرقل هذه "الدينامية"، أو لكي تقضي عليها.

ب) إذا لم تعمل 'الدّينامية' بأي أسلوب تنظيمي محدّد، فمن المحتمل أن تتحوّل هذه "الدينامية" إلى حركة مُبْهَمَة، أو هُلَامِيَة، أو غَامضة، أو مُلتبسة. لا تقدر على الاجتماع، ولا على التشاور، ولا على التنسيق، ولا على بلورة المواقف المشتركة، ولا على تفعيلها. ومن

الممكن في هذه الحالة أن تفقد هذه 'الدّينامية' الفعالية. وفي هذه الحالة، سيكون من المتوقّع أن تعجز هذه 'الدّينامية' على تطبيق برنامجها. وقد تعجز حتى على الاستمرار في الوجود. لأن كل عمل جماعي لا يقدر على أن يكون قويّا، أو منتجا، أو فعّالا، إلاّ إذا عمل بأسلوب تنظيمي عقلاني، ومحكم، ومضبوط، وَذَا جَوْدَة من مستوى عَالٍ. وهذا هو التناقض الذي نتمنى القدرة على معالجته في المستقبل.

ت) الحاجة إلى التنظيم، تطرح فورا الحاجة إلى ***الانضباط.*** فمن الجميل أن نتحاور، وأن نبلور قناعات مشتركة، لكن ***ما الفائدة من هذه القناعات المشتركة إذا لم نلتزم جميعا بتنفيذها؟*** فهل الحل هو أن تطلب "الدّينامية" من أنصارها الانضباط؟ أليس الأفضل فِي البداية هو أن تمنحهم ***حرّية التصرّف، حسب الطاقات الشخصية لكل مناضل، وحسب الظروف القائمة؟*** نحن ندرك طبعًا أن التاريخ يؤكّد أن كل جماعة لا تعمل ***بالانضباط*** تتحوّل حتمًا إلى شَتَات غَير مُنسجم، ثم تَمُوت. لكن، في نفس الوقت، تطمح "الدّينامية" إلى أن تكون نوعا جديدا من الحراك السياسي المُجتمعي. لذلك نميل مُؤَقَّتًا إلى محاولة ***ابتكار صنف جديد من التنظيم،*** يمزج بين قدر معيّن من الانضباط، وقدر محدّد من حرّية السلوك لكل المناضلين المناصرين "للدّينامية". ويمكن مثلاً المطالبة بالانضباط داخل النواة المُنشّطة "للدّينامية"، والاكتفاء بانضباط مرن بالنسبة لمناصري "الدّينامية". خاصّةً وأن "الدّينامية" لا تُلْغِي استمرارية الأحزاب أو التنظيمات اليسارية.

ث) في مقارنة ملموسة، وفي تجربتي ثورتي تونس ومصر في سنة 2011، لاحظنا أن حركات الشباب الثوري التي أشعلت الثورة وخاضتها، ونجحت في الإطاحة برأس النظام السياسي، كانت ***تتوفر على أفكار، لكنها تفتقد إلى التنظيم.*** وبعدما أطاحت برأس النظام السياسي، جاءت لاحقا حركات إسلامية أصولية، منظّمة ومنضبطة، وَرَكِبَت على موجة الثورة، وسيطرت عليها، واستغلّتها للسيطرة على

الدولة، ولفرض «أَسْلَمَة» المُجتمع. لماذا ؟ لأن الحركات الإسلامية الأصولية كانت تتوفّر على تنظيم وَلَوْ بدون أفكار. ولأن فكر الحركات الإسلامية يتلخص في كلمتين فقيرتين، وهما: «الشريعة الإسلامية»، و«الرأسمالية». أي فرض "أَسْلَمَة" المُجتمع، وترسيخ الرأسمالية المتوحشة التّابعة لمراكز الإمبريالية. ما هو درس هذه المقارنة؟ خلاصتها هي: ***أن تنظيم بدون فكر، يمكن أن يهزم فكرا بدون تنظيم، ولو كان هذا الفكر جدّ متقدّم !*** نحن كجدليين ندرك طبعًا أن الفكر الثوري يقدر على هزم التنظيم، لكن فقط في الحالة التي تتوفّر فيها شروط مجتمعية استثنائية. بينما ***التنظيم يغلبُ الفكرَ في معظم الحالات،*** وبسهولة كبيرة. مثلما أن ***الدّكتاتورية المُنظمة تغلب دائما الديموقراطية الفَوْضَوِيَة.*** وعليه، فالأفضل هو ***أن يجمع الثوريون بين الفكر المتقدّم والتنظيم الجيِّد.***

ج) يوجد جانب آخر مهم. وهو أن قوى القمع السياسي حسّنت قُدراتها كمّا وكيفًا. وحصلت على أدوات وتجهيزات تمنحها فعالية أكبر بكثير مِمَّا كان لديها في الماضي. واستفادت هي أيضًا من تكنولوجيات الحاسوب، والهواتف المنقولة، والنظام العالمي لِتحديد المواقع الجغرافية "GPS"، وتسجيل المكالمات والمراسلات، والكَامِرَات الرّقمية المَبْثُوثَة في الفضاءات العمومية، إلى آخره. وتستطيع قوى القمع اليوم أن تَشُلَّ في ظرف يوم واحد أي حزب منظّم بشكل كلاسيكي (يعني الحزب الذي يتوفّر على قيّادة مركزية، وهيكلة على الصعيد الوطني، وله إطارات إقليمية، وتنظيمات محلّية مضبوطة، وتنسيقات دورية، إلى آخره). وهذه التطوّرات في مجال القمع، تفرض على الثوريين أن يبتكروا، وأن يستعملوا، أساليب تنظيمية من نوع جديد. وفي هذا الإطار، سيكون مفيدا استعمال شكل تنظيمي هُلَامِي، وغير مُحدّد. لكن هذا موضوع آخر.

ما هو الحل إذن؟ لا ندري حاليا. لهذا السبب، لا زلنا نفكر في ابتكار أسلوب تنظيمي مَرِن، يجمع نسبيا بين هذه المتناقضات

المذكورة أعلاه. ونحتاج إلى أسلوب تنظيمي، من صنف جديد، يكون قادرا على مقاومة القمع، ويكون ملائما لطبيعة "الدينامية"، ولأهدافها. لأن "الدّينامية"، وعلى خلاف حزب كلاسيكي، تطمح إلى أن تبقى مفتوحة على مناضلي مجمل قوى اليسار، بتعدد انتماءاتهم الحزبية، وباختلاف قناعاتهم الأيديولوجية.

حوار الريف: رغم أن الحوار معك مشوّق، لكن يلزم أن نختم الاستجواب بسؤال أخيرا. هل يمكن أن توضح لنا بعض الانتقادات السياسية التي توجهها لقوى اليسار؟

رحمان النوضة: النَقْد هو المَدخل إلى التقْويم والتَثْوير. لكن إذا دخلنا هنا في استعراض الانتقادات المفصّلة، الموجهة إلى قوى اليسار بالمغرب، فإن هذا المجال لن يكفينا. الموضوع طويل، وشاسع، ومتشعّب. ولمن يهمه هذا الموضوع، أحيله مثلا إلى كِتاب سبق لي أن نشرته تحت عنوان «نقد أحزاب اليسار». ويمكن تحميله من الموقع الإلكتروني التالي (https://livreschauds.wordpress.com/2012/06/15/نَقْد أحزاب اليسار بالمغرب/)، مِن (https:LivresChauds.Wordpress.Com)، أو مِن (nokkade.wordpress.com).

وفي الحقيقة، فإن عملية تقْوِيم وَتَثْوِير قِوَى اليسار، هي أصعب مِمّا يمكن أن نتصوّر. وليست مضمونة النجاح. وكمثال حديث، أتذكّر هنا أن ما يقرب من مئة مناضل كانوا أعضاء في "الحزب الاشتراكي الموحد" على سبيل المثال، حاولوا مقاومة بعض التوجّهات السياسية غير السليمة، على امتداد أكثر من عقد من الزمن. وكانوا يعارضون سياسة إبعاد الحزب عن النضالات الجماهيرية، وتحويله إلى مجرد آلة انتخابية. وتصارعوا بأساليب معيّنة، ضدّ تِيَّار سياسي سائد في الحزب. لكنهم في النهاية انسحبوا من حزبهم. ما هو الدّرس من ذلك؟ من المُؤسف، بل من المُحَيِّر، أن نلاحظ أن مناضلين من كلا الطرفين، كلهم مخلصين، ونزيهين، لا يستطيعون معالجة التناقضات فيما بينهم،

ولا يستطيعون خوض حوار حقيقي فيما بينهم. كأنهم لا يقدرون على ***الاستماع المُتبادل***، وعلى ***التَفَاعُل المُتَبَادَل***. وقد يكون السبب هو أن قيادة الحزب، أو التوجّه السائد فيه، لم يكن في مستوى معالجة هذه التناقضات. وقد يكون معنى ذلك الحدث أن أحسن حل لمعالجة الخلافات السياسية ليس بالضرورة هو الانسحاب من الحزب. لأن الانسحاب سَهل، لكنه لا يعالج المشاكل. وقد يكون الدّرس هو أنه ***لا يكفي أن تدافع عن أطروحات سياسية صحيحة لكي تستطيع إقناع معارضك***، أو خصمك، أو منافسك. وكأن المَنْطِق الذي يستعمله مختلف الأشخاص ليس منطقا واحدا ومُوَحَّدًا، بل هو مَنَاطِق (بصيغة الجمع). لكن هذا موضوع آخر.

وأتذكر مثالا آخر مُحيّرًا. حيث أن قادة "فيديرالية أحزاب اليسار" بالمغرب (التي تتكون من "حزب الطليعة"، و"حزب المؤتمر الاتحادي"، و"حزب الاشتراكي الموحد")، قرّروا أن تكون المشاركة في هذه "الفيديرالية" ***مشروطة*** بتبني ثلاثة مواقف سياسية، وهي: «المُوَافَقَة على الملكية البرلمانية، وعلى مَغْرِبِيَة الصحراء، وعلى المُشاركة في الانتخابات». وهذه الشروط هي فكرة غريبة، ومحيّرة، بل مرفوضة. كأن واضعي هذه الشروط يريدون خصّيصًا تبرير إقصاء "حزب النهج" من النضال المشترك فيما بين قوى اليسار. لأن "حزب النهج" هو بالضبط الحزب الوحيد الذي يحمل آراء مختلفة نسبيا في تلك القضايا الثلاثة المذكورة. أنا أحترم، وأقدر، وأحبّ قادة أحزاب "الفيديرالية"، لكن احترامي هذا لا يمنعني من أن أقول صراحةً أن هذا الشرط الذي فرضوه في العضوية في "الفيديرالية"، يذكّرني بما يُسمّى بالطّلاق الثلاث. بل يُقسّم اليسار، وَيُضعفه، ولا يفيد سوى النظام السياسي القائم. حيث لا يستفيد من إقصاء «حزب النهج» من النضال الجماهيري المشترك سوى النظام السياسي. ونلاحظ أن تلك الشروط الثلاثة المذكور سابقًا تتوفّر، ليس فقط في حزبي "الاتحاد الاشتراكي"، و"التقدم والاشتراكية"، بل تتوفّر حتى في كثير من الأحزاب اليمينية أو المحافظة. فلماذا يقبل

نظريًّا قادة "الفيديرالية" العمل مع مثل هذه الأحزاب، ويرفضون العمل مع "حزب النهج"؟ فإذا كان قادة "الفيديرالية" يعتبرون أن "حزب النهج" هو حزب مشكوك فيه، أو رجعي، أو غير يساري، أو خائن، أو مجرم، فليقدّموا لنا البراهين لكي نقتنع نحن أيضا. وإذا كان قادة "الفيديرالية" يحصرون قوى اليسار فقط في الأحزاب التي تتبنّى تلك الموافق الثلاثة المذكورة أعلاه، وجب عليهم أن يقولها لنا بشكل صريح. وهل يُعقل أن يضع قادة يساريون عراقيل مصطنعة ضدّ ***النضال المشترك*** فيما بين قوى اليسار؟ ***وهل النضال المشترك مشروط بالاتفاق الفكري والسياسي على كل شيء؟*** من المفهوم أن اعتزاز "حزب النهج" بكرامته يدفعه إلى تلافي طرح هذه القضية، أو نقاشها، أو نقدها، لكن واجبي الأخلاقي، كمناضل غير منتمي لأي حزب في الوقت الحالي، يفرض عليّ بأن أنتقدها علنيّا، لأنها لا تليقُ بأحزاب يسارية، ولا حتى بأحزاب ديمقراطية. قد تكون لكل حزب من أحزاب اليسار إيجابيات، أو أخطاء، أو نواقص، بما فيه "حزب النهج". ومِن الأكيد أن "حِزب النَهْج" ليس بالضَرُورة طُهْرَانِيًّا، أو مِثَالِيًّا. بل له هو أيضًا بعض الأخطاء أو النواقص (لكن هذا المجال لَا يسمح بِتَنَاوُلها هُنا). وإذا كان هذا هو اعتقاد قادة "الفيديرالية"، فليوضّحوا لنا ما هي الخلافات التي تُفَرِّقُهُم؟ ولماذا تُفرقهم؟

أَذْكُر مثالا أخيرا (في مجال نقد أحزاب اليسار). هل يُعقل، أن يدوم في رئاسة حزب يساري مناضل (أو مناضلة) خلال أكثر من خمسة سنوات، في العصر الحديث الذي يتميّز بتسارعه؟ ألا توجد كفاءات أخرى ممكنة في كل واحد من هذه الأحزاب؟ وهل يعقل أن يكون المسؤولون الرئيسيّون في حزب يساري غير متفرّغين للعمل النضالي والسياسي؟ وهل يُعقل أن يحاول المسؤول الرئيسي في حزب يساري المُزَاوَجَةَ بين عمله المهني الشخصي ومسئولياته الحزبية؟ وهل هذه المزاوجة ممكنة (بالنسبة لمسؤول قيادي على الصعيد الوطني)؟ ألا

تكون هذه المزاوجة على حساب جودة العمل السياسي لمجمل الحزب المعني؟

لتخفيف حدّة الجدّية، أختم حديثي معك بنكتة. التقت جماعة من المناضلين، وأرادوا خوض نضال مشترك حول "المساواة بين المرأة والرجل". لكن جماعة منهم قالت: «لا نقبل بأن يشارك معنا في النضال المشترك سوى من هو على وضوء»! فما العلاقة بين "المساواة بين المرأة والرجل" و"الوضوء"!؟ شكرا لموقع "حوار الريف".

(الصَحفيّ أَبُو عَلِيٌّ أَمَزْيَانُ، من المَوقع الإلكتروني "حِوار الرِّيف"، إِسْتَجْوَبَ رَحْمَانَ النُوضَة، في 10 فبراير 2016).

°°°°°°°°°°°°°++0++°°°°°°°°°°

إضافة استثنائية :

بعد انسحاب رحمان النوضة من المشروع المُسَمّى بـ «إعادة تأسيس اليسار بشكل مُتعدِّد»

في بداية سنة 2016، تَشَكَّلت بالتدريج محاولة لِإِطْلَاق مُبادرة سياسية تَرْمِي إلى المُساهمة في مُعالجة أوضاع اليسار بالمغرب. وكانت تَتَوَاجُد داخل هذه المحاولة مجموعة من المناضلين، قَديمَة، مُتَمَاسِكَة، وَمُلْتفَّة حول زَعَامَة محمد الوافي. وظهر شيئًا فَشَيْئًا أَن محمد الوافي وأنصاره يُريدون إِنشاء تِيَّار سياسي جديد، ثم بناء تَنْظِيم أو حزب سياسي جديد خَاصٍّ بهم.

وبعد مُرور قرابة أربعة شهور على الاجتماع الأول التأسيسي لمحاولة خلق هذه «الدِّينامية»، أَدْرَكَ محمد الوافي أن رحمان النوضة يُشَكِّل خطرًا على مشروعه الشخصي، لأن النوضة يختلف عن أَتْبَاعِ محمد الوافي، وَلَا يَقبل زَعَامَتَه. وَحَدَثَت خلافات حَادَّة بين رحمان النوضة ومحمد الوافي، فَافْتَرَقَا. وَذهب مع الوافي أَتْبَاعُه الأَوْفِيَّاء. وعلى خلاف المظاهر، هذا الموضوع ليس مجرّد مُخاصمة بين أشخاص، بل

يَدُور حَول مسألة سياسية تَاريخِيَة، وَتُهُمُّ كلّ قِوَى اليسار، ويمكن أن تُؤَثِّر على مصير الشعب. والخلاف يدور حول السؤال التالي: هل نُعالج أزمة قِوَى اليسار عبر خلق أحزاب سياسية يسارية إضافية، أم عبر خَوض دِينَامِيَّة لِتَقْوِيم وتَثْوِير مُجْمَل قِوَى اليسار الموجودة حَاليًّا؟

وقد قامت مجموعة محمد الوافي بالضَّبْط بِما كان يُحَذِّر منه رحمان النوضة. أَلَا وهُوَ محاولة بِناء تنظيم أو حزب سياسي جديد إِضَافي. وانتقد رحمان النوضة هذه الفكرة. وأَوْضَحَ النُوضَة أن محاولة إنشاء حزب سياسي يساري خَامِس في المغرب، هي نوع مِن العَبَث، ومَآلها هو الفشل. وقال النوضة أن أنصار فكرة إنشاء حزب يساري خامس بالمغرب، لَا يفهمون أَسباب ضُعف أحزاب اليسار الأربعة القديمة، وأنهم سَيُكَرِّرُون نفس الأخطاء والانحرافات القديمة، وَسَيُعِيدُون نفس التجربة المُتعَثِّرَة أو المُعَاقَة. وطرح النوضة أن الحل البديل هو العمل بهدف تقْيِيم، وَنقْد، وَتقْوِيم، وَتثْوِير أكثر مَا يمكن مِن بين أحزاب اليسار الأربعة القائمة حاليًّا.

وقد اُضْطُرَّ رحمان النوضة بِسُرعة إلى الانسحاب مِن تلك المُبادرة السياسية. حيثُ لَم تَمْضِ بضعة شهور على بداية تلك المُحاولة (وكذلك على هذا الاستجواب مع مَوْقِع "حِوَار الرِّيفْ") حتّى انسحب النوضة منها. لأن النوضة لَاحظ أن جزءًا مِن هذه المجموعة الصغيرة (المُلتَفَّة حول الوافي) تَتَحَرَّك كَقَبِيلة سِيّاسية غير مبدئية، وأن أحد أطرافها (محمد الوافي) غارق في نَزْعَة زَعَامِيَة مُتعَصِّبَة، وَيُحاول كَشخص أن يُهَيْمِنَ على كلّ شيء، وأن أَتْبَاعَه المُقَرَّبين منه يُنَاصرونه بشكل آلِي، وغير مبدئي. وفي مثل هذه الحالة، لَا ينفع النقاش، ويصبح العمل المشترك مستحيلًا.

وقال النوضة: بَعد المُجامَلَات الأَوَّلِيَة، اِكْتَشَفْتُ بِاسْتِغْرَاب أنه لا يوجد أيّ تنَاسُق بين بعض الفُرقاء الذين شاركوا في هذا المشروع، لَا في الأفكار، ولَا في المبادئ، ولَا في الأساليب، ولَا في النوايا. وَلَا يَسْتَوْعِبُ محمد الوافي، وَلَا المجموعة (التي تُكِنُّ لِشَخْصِه الوَلَاءَ

المُطلقَ)، المبادئَ والمهامَّ السياسية الثورية التي دَافَعَ عنها رحمان النوضة في هذا الاستجواب (الذي أجراه مع الموقع الإلِكْتْرُونِي "حِوَار الرِّيفْ").

وقال النوضة: لَا أقبل العمل مع مَن يستعمل دَوْمًا أَسَاليب «الكَوْلَسَة». ولا يمكنني أن أعمل مع أناس يَتَظَاهَرُون بالمبادئ الثورية في الخِطَاب فقط، ويرفضون الالتزام بها في المُمارسة. يقولون أشياء، ويمارسون أشياء أخرى مخالفة. وإذا كانت ممارستنا مخالفة لِخِطَابِنَا، فمعنى ذلك أننا نمارس السياسة بمفهومها البرجوازي، أي أننا نمارس اللّف، والدوران، والمغالطة، والانتهازية، والخُدْعَة. يُقولون لك: نحن مناضلون إِخْوَة، وتَسُود بيننا الأُخُوَّة، والمحبّة، والمُساواة. لكن في المُمارسة، لا يسمحون لك بأن تَكون عُضوًا، أو حتّى مُتواجداً، إِلَّا إذا خَضعتَ لِسُلطتهم، مَثَلُهُم في ذلك مَثَل مَا تُمارسه الطَبَقَات المُسْتَغِلَّة.

وكان رحمان النوضة يُصِرُّ على أن مُعالجة نقط ضُعف أحزاب اليسار الأربعة بِالمغرب، لَن تَتِمَّ عَبْر التَسَابُق إلى تأسيس أحزاب سياسية جديدة وإضافية، وَإِنَّمَا تَسْتَوْجِبُ التفَاعُل مع أحزاب اليسار الأربعة (القائمة حاليًّا) بِشكل غير مُنْحَاز لأيّ طرف، مِن أجل تشجيع هذه الأحزاب على التقَارُب فيما بينها، وعلى التَعَاوُن، وَالتَكَامُل، بِهَدَف تَثْوِيرها، مِن خلال خوض النضالات المُشتركة. بينما كان محمد الوافي مَهْوُوس بِشيء واحد فقط، هو بِنَاء زعامته الشخصية. وكان الهدف الأساسي «للدِّينَامِيَّة»، مِن وجهة نظر النوضة، هو مساعدة أحزاب اليسار الأربعة، والعمل على تَقَارُبِها، وَتَفَاهُمِهَا، وَتَقْوِيمِهَا، وَتَقْوِيَّتِهَا، وَتَثْوِيرِهَا، مِن خلال خَوْض أكثر ما يمكن من النِضالات الجَماهيرية المُشتركة. بينما محمد الوافي مُنْشَغِل بشيء واحد، هو بناء زَعَامَتِه الشخصية، وتقوية شُهرته، وتَنْظِيم مجموعة سياسية تَابِعَة له. وَلَا يقبل محمد الوافي أن يُنافسه أحد في تلك الزَعَامَة. ويَحْرُص الوافي على احتكار السيطرة المُطلقة على هذه المَجموعة، كأنها مِلْكِيَة شَخصية خاصّة بِه. وَيُعامل الوافي أنصاره كَأَتْبَاع، أو كَمُرِيدِين، أو كَرَعَايَا.

وأنصاره يَتْبَعُونه بشكل أعمى، وَلَا يُناقِشُونَه، ولَا يُخَالِفُونَه في أيّ رأي، ولا يَنْتقِدُونه فِي أيّ مَجَال. وَمِن سُخْرية الأقدار أن محمد الوافي أعاد إنتاج الانحرافات السياسية التي كان يَشتكي منها داخل "الحزب الاشتراكي المُوَحَّد" الذي سبق له أن اِنْسْحَب منه مع عدد مِن المناضلين الآخرين.

وقد حَاوَل محمد الوافي اِسْتِدْراج رحمان النوضة في مشروعه الشخصي، وأراد الوافي استغلَال النوضة تحت غِطاء "الدِّينامية" لِخدمة مجموعته الخُصوصِيَة. هَمُّه الوحيد هو التحكّم الدائم في تيّار سياسي خاص به، وتقوية موقعه التفاوضي. وهذه الحسابات الحَلَقِيَة الضَيقة لا تُفِيد المسار الثوري. وإذا كان شخص مُعَيّن لا يقبل شيئا إلا بشرط أن يكون هو الذي يقُودُه، أو يُهَيْمِنُ عليه، فالنتيجة الحتمية هي الخلاف، والانقسام، والانشطار، ثم الإفلاس. وإذا كنّا سنمارس السياسية بعقلية برجوازية، بمعنى أن تأخذ دائما أكثر مِمَّا تُعطي، سيصبح التعاون أو التكامل مَغْشُوشَيْن. وممارسة السياسة، من منظور ثوري، هي أن تناضل، أي أن تعطي كل شيء، وأن لا تُطَالِبَ بِأَخْذِ أيّ شيء. أمّا إذا أراد كلّ واحد منّا أن يأخذ أكثر مِمَّا يُعطي، فسنصبح، في الجوهر، مثلنا مثل الأحزاب الأخرى البرجوازية، نمارس السياسة بمنهاج الاستثمار الرأسمالي.

وَتُسمّي المجموعة التابعة لِمُحمد الوافي نفسها بِاِسْم «***تنظيم اليسار المُتَعَدِّد***». كأن اليسار في المغرب، المكوّن حاليًّا من أربعة أحزاب يساريَّة، بكل مَا فِيه مِن تنظيمات، وتوجّهات، وتيارات، وخطوط سياسية مُتفاوتة، ليس «مُتَعَدِّدًا» بما فيه الكفاية! وَكَأنّ أحزاب اليسار الأربعة في المغرب لَا تُوجد دخلها آرَاء، وأفكرا، وأطروحات، وَتيَّارات، وَسُلُوكَات، وَتَوَجُّهَات سِياسية مُتَنَوِّعَة، وَمُتَفَاوِتَة، وَمُخْتَلِفَة، وَمُتَعَدِّدَة!

ولا يعلمُ أحدٌ ما هي الأشياء التي تَتَوَفَّرُ في «تنظيم اليسار المُتعدّد» ولا تَتَوَفَّرُ في أحزاب اليسار الأربعة القائمة حاليًّا. وَلَمْ تَأْتِي

مجموعة محمد الوافي بِـ «خَطّ سياسي» جديد ومُتَمَيِّز. وَلم تُنتج مجموعة الوافي أَيَّةَ أُطْرُوحَات سياسية جَدِيدَة، أو مُخَالِفَة، أو مُبْدِعَة. ولم تَبْتَكِر مجموعة محمد الوافي أساليب جديدة في مجالات التنظيم، أو الدعَايَة، أو النضال المُشترك. بل إن «تنظيم اليسار المُتعدّد» يظهر أكثر ضُعْفًا، وأكثر تخلّفًا، بالمقارنة مع كلّ أحزاب اليسار الأربعة القديمة. وَتَتَمَيَّز «مجموعة اليسار المُتعدّد» بِفَقْر نَظَرِي مُدْقِع، وَبِهَزَالة تنظيمية بَيِّنَة.

وتكتفي مجموعة محمد الوافي بِتِكْرَار فِكْرَتَين بَسيطتين وَيَتِيمَتَيْن، هما فكرة «تنظيم اليسار المُتعدّد»، وفكرة «الثورة الهَادِئَة». رأينا فيما سبق أن «تنظيم اليسار المُتعدّد» ليس مُتَعَدِّدًا أكثر مِن اليسار الذي سَبقَه إلى الوُجود، وَلِنَفْحَص الآن مقولة «الثورة الهَادِئَة». هَل تُشَكِّلُ فكرة «الثورة الهادئة» نَقْدًا غير مباشر لِأحزاب اليسار الأربعة، مِن خلال اِتِّهَامها بِاتِّبَاع نَهْج "ثورة حَامِيَة"، أو "صَاخِبَة"، أو "عَنِيفَة"؟ وهل تُوحِي فكرة «الثورة الهادئة» بِرَفْض النضال الثوري، وَبِتَفْضِيل أساليب المُفاوضات الغامضة، أو الكَوَالِيس المُبْهَمَ؟ وَهَل فكرة «الثورة الهادئة» هِي مدخل لِإِصْلَاحِية جديدة، أم أنها مُقَدِّمَة لِتَبْرِير وَهْم الاعتقاد بِإمكانية تَغْيِير النظام السياسي القائم من دَاخِل مُؤَسَّسَاتِه الشكلية؟ وَهَل أطروحة «الثورة الهادئة» تَعني الإيمان بِإمكانية «الوصول إلى السُّلطة عبر الانتخابات»، أو بإمكانية الانتقال السِّلْمِي والهادئ من الرأسمالية إلى الاشتراكية؟ وعلى عكس تلك الأطروحات والأوهام، فإن مُجمل الأدب الماركسي يُؤَكِّد على أن «الثورة» المُجتمعية هي نَقِيض «الهُدُوء». ومُجمل الثورات المُجتمعية الهامّة في تاريخ الشعوب تَتَّصِف بِكُلّ شيء، سِوَى بالهُدُوء. والصّراع الطبقي، وكذلك النضال الثوري، لَا يخضع لِرَغبة الحفاظ على «الهُدُوء»، وَلَوْ حاولنا ذلك.

وعندما يسمع المُلَاحظ خطابات مجموعة محمد الوافي، أو يقرأ الوثائق النظرية التي تنشرها، فَإِنّ الملاحظ لَا يفهم شيئًا فيها. وهذا هو

أسلوب الاختباء وراء الغُموض، لإخْفَاء الفَقر النظري، أو الضُّعف السياسي. وقد سبق لِكَارْل مَارْكْس أن اِنْتقدَ بتفْصِيل مثل هذه الأطروحات في كُتَيِّبه المَشْهُور «نقد برنامج جُوطَّا» (Critique du programme de Gotha)(1).

وتُوجد تنظيمات أخرى صغيرة تَحْلُم، هي أيضًا، منذ أكثر من عشرين سنة، بأنها «سَتَتَمكَّنُ في مستقبل قريب من بناء حزب يساري جديد» خاصّ بها. وحتّى بعض فَصَائل الطلبة في الجامعة تَحلم بأنها قادرة على إنشاء حزب سياسي خاص بها، وقادرة على القيّام بالثورة المُجتمعية نِيَّابَةً عن الشعب. وتتسابق أحيانًا بعض هذه التنظيمات إلى المُطالبة بِعُضْوِيَّتها في التَحَرُّكَات الجَمَاعِيَة، وفي «التنْسِيقِيَّات»، وفي «الاِئْتِلَافَات»، وفي «الجَبَهَات»، الخ. وتُريد وَضْعَ توقيعها على البَيَنَات المُشتركة إلى جانب أحزاب تُفُوقُهَا أَهَمِّيَةْ. وتُطالب بِنَصِيبِهَا في اقتسام كَراسي القِيَادة في هذه «الاِئْتِلَافَات»، في إطار قِسْمَة المُحَاصَصَة المُمْكِنَة فيما بين الهيئات السياسية المُشاركة فيها. وحتّى بعض الجماعات، المُكَوَّنَة من بضعة أصدقاء قُدَامَى، تقَدِّمُ نفسها على أنها تُشكّل هي أيضًا «تنظيما سياسيا يساريا». فهل يُعقل أن نقبل التعامل مع أيّة جماعة من الأصدقاء باعتبارها تُشَكِّلُ «حزبًا سياسيا»، أو «تنظيمًا ثوريا»، أو «تِيَّارًا سياسيًّا»؟ هذا عَبَث غير معقول. بينما لا تتوفر هذه «التنظيمات» المزعومة على خط سياسي مُتَمَيِّز، ولا على مؤتمرات دورية، ولا على هيكلة تنظيمية على صعيد وطني، ولا على وثائق نظرية تأسيسية، ولا على أُطْرُوحَات سياسية مُخالفة لأطروحات أحزاب اليسار، ولا على مشروع سياسي مُغاير، ولا على ممارسة نضالية دَالَّة أو وَازِنَة، إلى آخره. وفي معظم الحالات، لَا يوجد وراء هذه المشاريع الرَّامية إلى «تأسيس حزب يساري جديد» سوى أفراد يَطْمَحُون إلى بناء «زَعَامَتِهِم» الشخصية. ويستعملون أحيانًا سُلُوكِيَّات غير مَبْدَئِيَة لِتَحْقِيق طُمُوحاتهم «الزَّعَامِيَة». ويستغلّ بعضهم في ذلك نفوذه المهني، أو يحوّل العلاقات المهنية إلى علاقات سياسية. بينما في

أوضـاع اليسـار الحاليـة، المُتميِّزَة بالضُّـعف، أو الارتبـاك، أو التَـأَزُّم، سيكون من العبث التـفكير في «تأسيس حـزب يساري جديـد إضـافي». [في هذا المجال، أُنْظُر وثيقة رحمان النوضة المُعَنْوَنَة بِـ "نـقد الـدَّعوة إلى تأسـيس حـزب يسـاري جديـد"، ويمكن تَنْزِيلهـا مِن المُدَوَّنَـة (https://livreschauds.wordpress.com/2020/04/16/نـقد الـدّعوة إلى تأسـيس حـزب يسـاري جديـد/)، في (https:LivresChauds.Wordpress.Com)، أو في (nokkade.wordpress.com)].

رحمان النوضة.

°°°°°°°°°°°°++0++°°°°°°°°°°